المحبة بين العبودية والفطرية

د. علي حسين يحيى موسى

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الملك خالد

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المحبة بين العبودية والفطرية، وكما هو معلوم فإن المحبة هي أصل الإيمان وشرط لصحة العبادة، وهي عبادة قلبية عظيمة، وقد قسمته إلى مبحثين:

الأول: محبة العبودية: وهي محبة الله تعالى وتعظيمه والخشوع له، ومحبة الرسول ﷺ لشخصه الكريم وذاته الشريفة. ومن لوازم محبة ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانقياد له والرضا والتسليم لحكمه وأمره. و محبة ما يحبه الله تعالى؛ كحب الطاعات والأعمال الصالحة والحب في الله ولله تعالى، وأنه يجتمع في الشخص الواحد سبب الولاية وسبب العداوة، فيحب من وجه ويبغض من وجه والحكم لما يغلب عليه.

الثاني: الحديث عن المحبة الفطرية الطبيعية: وهي ميل الإنسان لما يلائم طبعه، ولها ثلاثة أحكام:

فإن أحبها متوصلاً بها إلى محبة الله أثيب عليها. وإن أحبها موافقة لطبعه ولم يؤثرها على محبة الله كانت من قسم المباحات، وإن قدّمها على ما يحبّه الله تعالى ويرضاه كان ظالماً لنفسه، أما حُبُّ الكافر وموالاته لكفره، فهذا كفر مخرج من الملة.

أما إذا أحبّ الكافر للدنيا مطلقاً خوفاً وطمعاً فهذا نوع من مودّتهم وموالاتهم فحكمه حرام وإثم عظيم، وإذا كان حُبُّ الكافر ومودّته لأجل قرابة أو في مقابلة نعمة أو زواج ولم يكن من المحاربين ففي هذا رخصة، وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان ومن باب حسن الخلق والمروءة.

ثم ختم البحث بأهم النتائج.

Abstract

of the treatise entitled:

Love between Worship and Natural attachment

This treatise deals with the conception of love between worship and natural attachment. As it is known, the Love is a basis of Faith (Imaan) and a prerequisite for the correct worship. It is a great hearty worship. The treatise is divided into two chapters:

The first chapter: is about Love as worship: it is a love of Allah, the exalted, His glorification, and submission to Him. And love of the Prophet (peace be upon him) for his honorable personality and his noble being. And loving him (peace be upon him) requires to obey him in what he has commanded, and To believe in everything he has informed us, to submit to him, and to be pleased with and completely satisfied with his judgment and order.

And love of what Allah loves, like the compliances, good deeds, loving in Allah and for sake of Him.

And that the reason of love and hate may get together in one person, so he may be beloved by its reason and may be hated by its too, and the verdict will be applied on him according to the majority of reasons of love or hate.

The second chapter: talks about natural love and attachment, and that is a man's inclination towards what suites to his nature. And it holds three verdicts:

If he intends to attain love of Allah by this love, he will be awarded for this kind of love.

If he loves by his nature's suitability and does not prefer it on the love of Allah, it will be of permissible (Mubahat).

If he prefers his natural love on what Allah loves and be pleased with, he will commit outrage upon himself.

But loving the disbeliever (Kafir) and adoring him for his disbelief (Kufr), it is an unbelief, gets out of the Religion.

As for loving the disbeliever (Kafir) for absolute worldly purposes, like scares and desires, it is a kind of friendliness and amiability with the disbelievers. It is illegal as verdict and a big

sin.

If the loving of the disbeliever (Kafir) is for due to a blood relationship, or as requital for kindness, or due to marriage, and he is not in battling against Islam, it is allowable. It is as repaying kindness for same, and a form of good behavior and magnanimity.

Then, the treatise concluded with main outcomes.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ﷺ، الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وترك الأمة على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فالمحبة واضحة المعالم والحدود والدلالة، لا توصف بوصف أظهر وأبرز من المحبة وهي عبادة عظيمة، وأصل الإيمان والأعمال الصالحة، وبالمحبة تَحْيا القلوب والأرواح وتبلغ الدرجات العالية في الجنة.

وكما هو معلوم فإنّ مذهب أهل السنة في المحبة هو أنها تتجزأ وتتبعّض، فقد يجتمع في الشخص الواحد سبب الولاية وسبب العداوة، فيحب من وجه ويبغض من وجه، والحكم لما يغلب عليه.

ويهدف هذا البحث إلى التفريق بين محبة العبودية والمحبة الفطرية، فمحبة العبودية: هي محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة ما يحبه الله تعالى من الطاعات والأعمال الصالحة والحب في الله ولله. أما المحبة الفطرية: فهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه؛ كحُبِّ الطعام والشراب والقرابة، وحُبِّ من أسدى إليك معروفاً أو قدّم لك نفعاً خاصاً أو قدّم نفعاً عاماً للإسلام والمسلمين، وتظهر أهمية الموضوع في بيان أحكام محبة العبودية والمحبة الفطرية وهي الإجابة على هذه التساؤلات:

هل حُبُّ المسلم لقرابته من غير المسلمين يُعَدُّ مخالفة شرعية؟

وهل المسلم إذا أعان كافراً على المسلمين خوفاً وطمعاً يُعَدُّ خارجاً من الملة؟

وما أحكام المحبة الفطرية؟ ومتى يُثاب المسلم على المحبة الفطرية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تظهر أهمية البحث والإضافة الجديدة.

وللإجابة على التساؤلات السابقة قُسِّم البحث «المحبة بن العبودية والفطرية» إلى مُقدِّمة ومبحثين وخاتمة:

۞ **المُقدِّمة**: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

۞ **المبحث الأول**: محبة العبودية. ويشتمل على ثلاثة مطالب:

۞ **المطلب الأول**: محبة الله تعالى ولوازمها.

۞ **المطلب الثاني**: محبة الرسول ﷺ ولوازمها.

۞ **المطلب الثالث**: محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

۞ **المبحث الثاني**: المحبة الفطرية

۞ **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: محبة العبودية.

المطلب الأول: محبة الله تعالى ولوازمها

محبة الله تعالى: هي أصل الإيمان، وشرطه الرئيس، وبها تتحقق العبودية والتعظيم والإجلال لله ﷻ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي، وهي سر التأله وتوحيدها: شهادة أن لا إله إلا الله(١).

فمحبة العبد لربه هي محبة إجلال وتعظيم وإنابة وذل وخضوع وخوف ورجاء وتوكل وخشية، وأن تكون هذه المحبة فوق كل محبّة تقدّر، ولا نسبة لسائر المحابِّ إليها، فالمحبون لربهم يتنافسون في القرب إليه ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى ويخافون عذابه ويرجون رحمته كما قال ﷻ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء، ٥٧].

قال السعدي عند تفسير هذه الآية: «وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقرّبين عنده هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمّت له تمّت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحّلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله: أن يجتهد العبد في كل ما يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب»(٢).

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٥١٤ بتصرف.

(٢) تفسير السعدي ص ٤٦٠

فالتنافس الحقيقي هو في محبة الله تعالى، لأن بها حياة القلوب وبلوغ الدرجات العالية في الجنة قال ابن القيم «ومن المعلوم قطعاً أنك لا تنافسَ إلا في قرب من تحب قربه، وحب قربه تبعٌ لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه، إذ فيها حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة»(١).

أما من جعل محبة الله تعالى كمحبة غيره فهذا هو الذي اتخذ من دون الله أنداداً قال تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فمن أحب مع الله شيئاً كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فأكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم لا في الخلق والرب، وجاء في تقدير الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِّ﴾ قولان:

أحدهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله تعالى .

والثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ من محبة المشركين بالأنداد لله، فإنَّ محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها .

والمحبة الخالصة أشد من المشتركة، والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فإن فيها قولين:

أحدهما: يحبونهم كحب الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٦

يشركون فيها مع الله أندادا .

والثاني: أن المعنى يحبون الله كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة الله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم .

ومعنى الآية: أن المشركين يحبون أندادهم من جنس محبة المؤمنين لله، وهي محبة ممتزجة بِذُلٍّ وتعظيم وتقديس يحملهم على عبادتهم بالدعاء وغيره من أنواع العبادة، وعلى طاعتهم فيما يشرعون لهم من الدين الخرافي»(١) .

فالمؤمنون أشد حباً لربهم من محبة هؤلاء المشركين لأندادهم، ثم إن اتخاذ الأنداد من أعظم الذنوب كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت ثم أيّ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال: أن تزاني حليلة جارك»(٢) .

وخلاصة القول أنّ حقيقة العبودية لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة .

فإذا أحبَّ العبد المؤمن ربّه فإن الله تعالى يحبه، فصفة محبة الله تعالى لعباده ثابتة في الكتاب والسنة، وهي من الصفات الفعلية كما هو مذهب السلف الصالح، فإنهم يثبتون المحبة لله تعالى خلافاً للمتكلمين ومن سار على نهجهم من المبتدعة الذين نفوا صفة المحبة عن الله تعالى،وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على محبة الله تعالى،ومن تلك الأدلة قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٤-٥١٥ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٦/ ٢٢ح (٤٤٧٧). ومسلم باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٦٣ح (٢٦٧).

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة٥٤].

فالله يحب عباده الصالحين، ومحبة الله تعالى للعبد المؤمن نعمة عظيمة، وفضل عظيم وليس بعده فضل، ومحبة الله للعبد هي «أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه، وإذا أحبَّ الله عبداً يسَّر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفَّقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد» .(١)

وأخبر الله تعالى أنه يحبُّ التوابين والمتطهرين فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة٢٢٢]،وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[الصف: ٤] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٤].

وأخبر الرسول ﷺ عن محبة الله تعالى لعباده في أحاديث كثيرة منها:

ما جاء في حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ في فتح خيبر قال: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه فقال أين علي؟. قيل: يشتكي عينه. فبصق في عينه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه..».(٢).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما فترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه

(١) تفسير السعدي ص ٢٣٥

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٤/ ٧٣ح (٣٠٠٩) ومسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣٣ح (٢٢٨٧٢).

الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه»[(١)].

ومن لوازم محبة العبد لربه أن يتصف ويلتزم بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً في أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله أحواله»[(٢)].

كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٣)].فمن تابع الرسول ﷺ وسلك طريقه وأخذ بسنته ﷺ أحبَّه الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أي: «يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبته إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٨/ ٣١ح (٦٥٠١) والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٦ ح(٦١٨٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي محمد سلامه جـ٢ ص ٣٢.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٣/ ٢٤١ ح (٢٦٩٧) ومسلم باب نقض الأحكام الباطلة ٥/ ١٣٢ح (٤٥٨٩).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي محمد سلامه جـ٢ ص ٣٢.

قال ابن القيم: ومعنى ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ «إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلاماتها: اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسل إليكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية»[١].

فمحبة العبد ربه: أن يتبع أمره ويجتنب نهيه، وأن تكون طاعته لربه ابتغاء مرضاته، وأن يبتعد عما يوجب سخطه وعقابه، ومن لوازم محبة العبد لربه أن يحافظ العبد على الفرائض ويكثر من النوافل، كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولن سألني لأعطينَّه، ولأن استعاذني لأعيذنه»[٢]، وأخبر الرسول ﷺالصحابي الذي كان يقرأ (سورة الإخلاص) أن الله تعالى يحبّه بسبب قراءته لهذه السورة، كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «كان أمير سرية يقرأ «قل هو الله أحد» لأصحابه في كل صلاة، وقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أُحِبُّ أن أقرأ بها، فقال النبي: «أخبروه أن الله يحبه»[٣].

ومن لوازم محبة الله تعالى معرفته والإكثار من ذكره تعالى، فإنّ المحبة بدون معرفة الله ناقصة، ومن أحب الله أكثَرَ من ذكره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب٤١] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٥.

(٢) سبق تخريجه.ص٧

(٣) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٩/ ١٤١ (٧٣٧٥) ومسلم باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٢/ ٢٠٠ ح (١٩٢٦).

وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا ﴾ [الأحزاب٣٥]، فذِكْر الله تعالى أكبر من كل شيء، وهو أفضل العبادات وأسهلها وأعظمها قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[(١)] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي الدر داء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: وماذاك يا رسول الله!قال: ذكر الله»[(٢)]، فالمداومة على ذكر الله تعالى باللسان والقلب دليل على المحبة.

قال ابن القيم: «دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر»[(٣)] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ويحذركم نفسه﴾ ٦/ ٢٦٩٤ح (٦٩٦٩). ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب الحث على ذكر الله ٢/ ١٧٩ ح (١٨٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر ٥/ ٤٥٩ ح (٣٣٧٧) وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل الذكر ٢/ ١٢٤٥ ح (٣٧٩٠).

(٣) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٣.

المطلب الثاني: محبة الرسول ﷺ ولوازمها

أما محبة الرسول ﷺ فهي تصديق بنبوته وإيمان برسالته وطاعة أمره واجتناب نهيه وزجره،وهي أصل من أصول الدين وشرط لإيمان المؤمن، وفرض على كل مسلم، وهي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ قال الله تعالى﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥].

«فأقسم سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه ﷻ على أنه لا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونوا من أهله حتى يحكِّموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه، حيث لا يجدون في أنفسهم حرجاً وهو الضيق والحصر من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض ويشربونه على قذى، فإن هذا منافٍ للإيمان بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر، ومتى أراد العبد أن يعلم هذا فلينظر في حاله ويطالع قلبه عن ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره»[(١)].

ومن لوازم محبة الرسول ﷺ الانقياد له ولحكمه والتسليم والرضا به والخضوع له، وأن يعتقد المسلم بأنه لا سعادة له إلا بتسليمه وانقياده ويكون ذلك في قرارة قلبه، ويعلم علماً يقينياً بأن الرسول ﷺ أولى به من نفسه وأبرَّ

---

(١) انظر الرسالة التبوكية «زاد المهاجر إلى ربه» ص ٢٥.بتصرف

به منه قال﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦]. «وهذا دليل على أنه من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب له من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحب إليه منها فبذلك يحصل اسم الإيمان»[(١)].

وجاء الحث في الأحاديث الصحيحة على محبة الرسول ﷺ لذاته وشخصه الكريم وأنها شرط لازم لإيمان المؤمن، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(٢)].وقد نقل الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث ما ذكره الخطابي بأن المقصود بالمحبة الاختيارية لا محبة الطبع

فقال: قال الخطابي: «لم يرد به حبّ الطبع بل أراد به حب الاختيار؛ لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه. قال فمعنى: لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعة نفسك، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك»[(٣)].

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٩بتصرف

(٢) أخرجه مسلم باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من ١/ ٤٩ ح (١٧٨) وأخرجه النسائي في السنن بأحكام الألباني ٨/ ١١٤ح (٥٠١٣).

(٣)انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٢٤.

ونقل أيضا قول القاضي عياض بأن محبة الرسول شرط لتحقيق الإيمان فقال: قال القاضي عياض: «ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه. قال وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنـزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضِّل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن»[(١)].

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: «كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: النبي ﷺ الآن يا عمر»[(٢)].

«فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية للرسول ﷺ فقط،فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعاً؛ ولأن من علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فَقْدِ غرض من أغراضه أو فَقْدِ رؤية النبي ﷺ أن لوكانت ممكنة، فإن فَقْدَها أن لوكانت ممكنة أشد عليه من فَقْدِ شيء من أغراضه، فَقَد اتصف بالأحبية المذكورة ومن لا، فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفَقْدِ، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته، وقمع مخالفيه ويدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر المصدر السابق ١/ ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٨/ ١٦١ح (٦٦٣٢). ومسند الإمام أحمد ٥/ ٢٩٣ح (٢٢٥٥٦).

وفي هذا الحديث: إيماء إلى أنّ فضيلة التفكّر في الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها، أما نفسه فهو يريد دوام بقائها سالمة من الآفات وهذا هو حقيقة المطلوب، أما غيرها فإذا حقّق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً، فإذا تأمّل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؛ إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أو من غيره لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره»[(١)].

وفي صحيح البخاري أيضا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمنٍ إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾»[(٢)]، قال ابن جزي عند تفسير هذه الآية: «يقتضي أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم»[(٣)].

وقال أبو السعود: «أي في كل من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق فيجب أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم

---

(١) انظر فتح الباري ١/ ٥٩-٦٠بتصرف

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٦/ ١٤٥ح (٤٧٨١). والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٣٨ح (١٢١٤٨).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج١/ ص ١٥٢٤.

من شفقتهم عليها»[١].

وبَيَّن الشيخ السعدي عند تفسيره هذه الآية: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أن من حقوق النبي ﷺ عدم معارضة مراده، وأن يقدموا محبته على أنفسهم وجميع الخلق، فقال: «فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد الرسول أن يقدموا مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائناً من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول ولا ينتقدوا بين يديه»[٢].

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه، وأن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها[٣].

أما من قدّم حكم غيره على حكم الرسول ﷺ وقدّم دلالات العقل على ما جاء به الرسول ﷺ فإنّ هذا من الإعراض عنه وعما جاء به، ولم تحصل الأولوية الواردة في الآية الكريمة ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ قال الإمام ابن القيم: «فيا عجباً كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم، ورضي بحكم غيره واطمأن إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول ﷺ، وزعم أن الهدى لا يتلقى من مشكاته وإنما

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج٢ / ص ٣٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٦٥٩.

(٣) انظر: التبوكية ص ٢٩.

يتلقى من دلالة العقول، وأن الذي جاء به لا يفيد اليقين إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به»[1].

وخلاصة القول: أنّ محبة الرسول ﷺ تتضمن محبته لذاته وشخصه الكريم، بأن يكون الرسول ﷺ أحب إلى المسلم من ولده ووالده والناس أجمعين، وهي شرط للإيمان.

ومن لوازم محبته ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر،واجتناب ما نهى عنه وزجر والرضا و لانقياد لأمره والتسليم لحكمه.

(١) المصدر السابق ص ٢٩-٣٠

المطلب الثالث: محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

تقدم أن محبة الله تعالى ورسوله ﷺ هي أصل الإيمان، وأصل كل عمل يتقرب به إلى الله تعالى، وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق، فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإنْ قويت أو عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفراً أو شركاً أكبر، وإن لم تعارضه قدحت في كماله، وأثّرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب[1].

ومحبة الله تعالى وحده وتعظيمه وإجلاله والخضوع له لا تكفي في النجاة من النار وعذاب الله تعالى، ولا تكفي في الفوز بالجنة وثواب الله تعالى، فإن المشركين وعبّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله تعالى، ولهذا فلا بد من محبة ما يحبه الله تعالى، وهذه المحبة هي التي تدخل العبد في الإسلام، كمحبة الرسل والأنبياء والمؤمنين وهي من محبة الله تعالى، قال ابن أبي العز: «فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لا مع الله»[2]. فالذين آمنوا بالله ورسوله ودخلوا في الإسلام يحبون في الله ولله، لأن «المحب يحب ما يحبه محبوبه، ويبغض ما يبغضه ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه ويغضب لغضبه،

---

(٢) انظر: الجواب الكافي ص ١٩٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٧.

ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله تعالى، والله لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين، ولا يحب المتكبرين ونحن لا نحبهم أيضاً موافقة له سبحانه وتعالى».[١]

أما المشركون والكفار ومن لم يدخل في الإسلام فنبغضهم ونكرههم موافقة لله سبحانه وتعالى، لأن المحبة التامة مستلزمه لموافقة المحبوب في محبوبه، ومكروهه، وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعداءه، ولابد أن يحب ما يحبه من جهادهم[٢]

كما قال الله **تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[الصف: ٤].

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الحب والبغض تقوم على ثلاث قواعد رئيسة:

الأولى: من يحبونه جملةً وهم المؤمنون بالله ورسوله والذين آمنوا بأركان الإيمان وأركان الإسلام والذين اتبعوا أوامر الله تعالى ورسوله، وانتهوا عما نهى الله عنه ورسوله.

الثاني: من يبغضون جملةً وهم من كفروا بالله ورسوله، ولم يشهدوا له بالوحدانية ولم يعبدونه حق عبادته بل أشركوا معه آلهة أخرى، فهؤلاء يبغضهم الله ﷻ ويبغضهم المؤمنون مواقفه له سبحانه وتعالى .

الثالث: وهو من يجتمع فيه حب وبغض وهو المسلم الذي عمل عملاً

(١) المصدر السابق ص ٥٤٧.

(٢) انظر المصدر السابق ص٥٤٧.

صالحاً وآخر سيئاً، فيُحَب على قدر ما معه من الخير والطاعة، ويُبغَض ما فيه من الشر والمعصية، لأن المسلم الذي هذا حاله يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، قال ابن أبي العز: «والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإنَّ العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإنَّ الله قد يحبُّ الشيء مِن وجه ويكرهه من وجه آخر»[1]، كما في الحديث القدسي، قال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه..»[2].

أما محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال والأقوال والمحبة في الله ولله، فقد جاءت نصوص كثيرة في الحث على فضلها وما للمحبين في الله ولله من الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن ذلك حديث أبي أمامه الباهلي أنه ﷺ قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه»[3].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه - أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[4].

(١) المصدر السابق ص ٥٤٧.

(٢) سبق تخريجه.ص٧

(٣) أخرجه أبو داوود ٢/ ٦٣٢. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٦٥٧ وصحيح الجامع برقم (٥٩٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب حلاوة الإيمان ١/ ١٠ح (١٦) ومسلم باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/ ٤٨ح (١٧٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».وذكر منهم «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(١). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ فقال: أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا. غير أني أحببته في الله عَزَّ وَجَلَّ قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلان فأبغضه فقال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض»(٤).

---

(٥) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة.. ١/ ١٦٨ح (٦٦٠).

(٦) أخرجه مسلم باب فضل الحب في الله ٨/ ١٢ح (٦٧١٤) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٨ ح (٩٢٨٠).

(٧)أخرجه مسلم في باب بيان أنه لا يدخل الجنة.. ١/ ٥٣ ح (٢٠٤) وأبي داود في سننه ٤/ ٥١٦ح (٥١٩٥)، والترمذي في سننه ٥/ ٥٢ ح (٢٦٨٨).

(٤) أخرجه مسلم في باب إذا أحب الله عبداً.. ٨/ ٤٠ ح (٦٨٧٣). والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٦٧) ح (٧٦١٤).

وحديث البراء بن عازب قال: كنت جالساً عند النبيﷺ فقال: أتدرون أي عرى الإسلام أوثق؟.... ثم قال لهم: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

وحديث ابن مسعود جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ «المرء مع من أحب[(٢)]».

وحديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال: «أنت مع من أحببت»[(٣)]. فدلت الأحاديث على فضل المحبة في الله ولله، وأن المُحِب مع من أحب في المنزلة والدرجة لأنه أحبهم لأجل طاعتهم لربهم فأثابه الله ثواب الصالحين، ولما كانت المحبة عملا قلبيا يثاب المؤمن عليه كان ذلك بمثابة العمل الذي له نية وقصد فجعلهم الله معهم، كما أكد ذلك ابن بطال في شرحه للحديث فقال:

«قول هذا أن من أحب عبداً في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته، ومدخله مدخله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله «لم يلحق بهم»: يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى ـ والله أعلم ـ أنه لما كان المحب للصالحين،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ح (٣١٠٦٠)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ١/ ٤٠٣ ح (٣٩٣). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٤م (٣٠٣٠)

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٨/ ٤٩ح (٦١٦٩)، ومسلم باب المرء مع من أحب ٨/ ٤٣ ح(٦٨٨٨).

(٣)أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٥/ ١٤ح (٣٦٨٨) ومسلم باب المرء مع من أحب ٨/ ٤٢ح (٦٨٧٨).

وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملاً من أعمال القلوب واعتقاداً لها، أثاب الله معتقد ذاك ثواب الصالحين إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء»[1].

(١) شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٣٣. لابن بطال.

المبحث الثاني: مفهوم المحبة الفطرية

مفهوم المحبة الفطرية: وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام ومحبة النوم، وكمحبة الوالدين والزوجة والولد والمسكن والمال، وكمحبة من أسدى إليك معروفاً أو قدم إليك إحساناً سواءً كان مسلماً أو كافراً ونحو ذلك.

وهذه المحبة مذكورة في كتاب الله ﷻ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١].

وقد يكون الزوج مسلماً والزوجة يهودية أو نصرانية فيحصل بينهما من المودة والرحمة ما يبقي على الحياة الزوجية السعادة والاستقرار والهدوء، وهذا لا يحصل إلا بالمحبة بينهما؛ وهي محبة طبيعية فطرية، قال الزحيلي: «جعل الله تعالى من العلامات الدالة على قدرته ورحمته وهيمنته خلق النساء من جنس الرجال، وإيجاد وشائج وصلات وثيقة بين الرجل والمرأة قائمة على المودة والمحبة والرحمة ليتعاون الجنسان على تحمل أعباء الحياة الزوجية، وترابط أفراد الأسرة.

إن في ذلك الخلق والإيجاد وتكوين جسور المودة والألفة بين الأزواج للسكن والاستقرار والهدوء في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ويتأملون هذا»[1].

ولا يلزم من المحبة الطبيعية الفطرية للزوجة الكتابية، والوالدين المشركين، والقرابة من الإخوة وغيرهم المحبة الدينية، فإنه يجب بغضهما في الله لما يحملونه من الكفر، والواجب على المسلم بغض جميع الكفار والمشركين

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ٣/ ٢٩٩.

وذلك لأنهم يحادّون الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا لا ينافي محبة القرابة بمقتضى المحبة الفطرية الطبيعية، فإن الإنسان مجبول على حُبِّ والديه وقريبه كما كان النبي ﷺ يُحِبُّ عمَّه أبا طالب لقرابته منه وقد بيَّن القرآن الكريم تلك المحبة فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦].

وقد أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في عمه أبي طالب لما طلب منه الإيمان بالله تعالى عند موته[1]، قال له رسول الله ﷺ: «قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: «لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك»[2]. فأنزل الله **تعالى** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك» فأنزل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[التوبة: ١١٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سبب نزول هذه الآية هو ما ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً. فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة[3].

---

(١) أنظر تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٨، وتفسير القرطبي ١٣ / ٢٩٩

(٢) أخرجه مسلم باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ١/ ٤١ح (١٤٤) من حديث أبي هريرة والترمذي في سننه ٥/ ٣٤١ ح (٣١٨٨).

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٤٦.

وكما هو معلوم عند أهل السنة أن الحب والبغض يتجزآن ويتبعَّضان، فقد يحب الشيء من وجه ويبغض من وجه آخر؛ مثل الجهاد والولاء والمسلم الفاسق ونحو ذلك «وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله ﷻ وحده الذي لا تصلح الألوهية إلا له فلو كان في السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا»[(١)].

وبناء على هذا فالمحبة منها محبة العبودية؛ كمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة ما يحب الله تعالى، والمحبة في الله ولله، ومحبة ما يوصل إلى محبة الله من الطاعات ونحوها. ومنها المحبة الطبيعية العادية الفطرية؛ كمحبة الوالدين غير المسلمين ومحبة الزوجة الكتابية ومحبة القرابة من إخوة وأولاد غير مسلمين، وهذه المحبة من المباحات التي لا يعاقب الإنسان عليها إلا إذا قدمها على ما يحبه الله تعالى ويرضاه، بحيث تصبح هي المقصودة، ففي هذه الحالة يكون ظالماً لنفسه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة: ٢٤].

والمحبة الفطرية الطبيعية لها ثلاثة أحكام: فإن أحبها لله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حال أكمل الخلق الذي حُبِّب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره، وإن أحبَّها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ١٣٥.

ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب عليها على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه، وإن كانت هي مقصودَه ومرادَه وسعيَه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه(١).

فهذه المحبة أعني ـ الطبيعية الفطرية ـ قد تكون معينة على محبة الله تعالى؛ كمحبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وأهله، فلا تطمح نفسه إلى ما سواها من الحرام، ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف ١٨٩].

وفي السنن من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك فقال: عائشة: ولهذا كان مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول إذا حدث عنها: «حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات»(٢).

وفي الحديث الآخر عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «حُبِّب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٣).

(١) انظر الروح لأبن القيم ص ٢٥٤

(٢) أخرجه الترمذي في السنن باب فضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ٥/ ٧٠٧ ح (٣٨٩٠) وصححه الألباني والحاكم في المستدرك ٤/ ١٣ (٦٧٤١) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ ح (٣٩٣٩) وقال الألباني: حسن صحيح. والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٢٨ ح (١٢٣١٥).

«فلا عيب على الرجل في محبته لأهله وعشقه لها إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة، وإن أعانت على محبة الله ورسوله، وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الْحَلْوَاء والعسل ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمع الهمّ والقلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه؛ فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قُربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرّد لم يُثَب ولم يعاقب،وإن فاته درجة من فعله متقرباً به إلى الله[(١)].

ويجب التحذير من اتباع الهوى في الحب والبغض، لأن اتباع الهوى يكون فيهما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة: ٨].

والهوى المنهي عنه اتباعه كما يكون هوى الشخص في نفسه، فقد يكون أيضاً هوى غيره فيه فهو منهي عن اتباع هذا وهذا لمضادة كل منها لهدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه»[(٢)].

(١) انظر إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٩-١٤٠.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ١٣٩.

فإن محبة الكافر لدينه موادة لأعداء الله تعالى، وهي تنافي محبة العبودية التي لله تعالى ورسوله قال الله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

وأما المحبة للدنيا مطلقاً وطلب زينتها ومالها وجاهها والسعة فيها ومحبة الكفار وموالاتهم لأجل الدنيا وعرضها الزائل، أوخوفاً منهم على منصبه ومكانته وطمعاً فيما عندهم من جاه أو مال أو نحو ذلك، فهي محرمة وصاحبها يأثم إثماً عظيماً وهي نوع موالاة، ولكنها لاتخرج المسلم من الإيمان بل هو باقٍ على إيمانه كما في قصة حاطب بن أبي بلتعه، والذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[الممتحنة١].

فقد ذهب كثير من المفسرين أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في قصة حاطب ابن أبي بلتعه حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم ليتخذ بذلك يداً عندهم»(١) .كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا

(١) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٨٣ – وتفسير السعدي ص ٨٥٤

حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالضغينة قلنا أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتُلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعه إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر الرسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ياحاطب ماهذا؟ قال لا تعجل عليّ، إني كُنْتُ امْرَأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فأحببت إذْ فاتني ذلك النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رِضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم(١)».

فهذا الفعل الذي فعله حاطب وهو إخبار قريش بغزو الرسول ﷺ لهم يعدُّ إلقاء بالمودة للكفار ومحبة لهم، وهي صورة من صور موالاتهم، ولكن أهل العلم من المفسرين وغيرهم قالوا: ناداه الله باسم الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فدل هذا الفعل أنه لم يرفع عنه اسم الإيمان، فهو لا زال مؤمناً ثم بعد أن سمع منه الرسول ﷺ سبب ذلك الفعل، وهو أن يكون له يداً عند المشركين فعذره الرسول ﷺ، فدل ذلك على أن موالاة الكفار لأجل الدنيا وزينتها وعرضها الزائل لا تخرج المسلم من الدين بالكلية، ولكن إثم هذا الفعل عظيم وجرمه كبير.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٤/ ٧٢-٧٣ ح (٣٠٠٧) ومسلم باب فضائل أهل بدر ٧/ ١٦٧ ح (٦٥٥٧).

وأكد الشيخ ابن جبرين أن إعانة الكفار على المسلمين كبيرة من الكبائر، وليست من الكفر المخرج من الملة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوجه الثاني أن يعين الكفار على المسلمين بأي إعانة ويكون الحامل له على ذلك مصلحة شخصية أو خوف عداوة دنيوية بينه وبين من يقاتله الكفار من المسلمين، فهذه إعانة محرمة وكبيرة من كبائر الذنوب ولكنها ليست من الكفر المخرج من الملة»(١).

وأما المحبة المقيدة لأجل النفع المفيد الحاصل له منه، أو ما فيه خدمة الإسلام وأهله أو للإنسانية وما يقدم لهم من وسائل النفع والراحة وما يصلح دنياهم ففي هذا سعة ممدوحة، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها. ومما يستدل به على ذلك: فعل الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب، فقد كان يحميه من كفار قريش ويغضب لغضبه، كما ثبت في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: «هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»(٢).

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»(٣).

فقد أذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يشفع في عمه أبي طالب بسبب ما قدمه من حماية للرسول ﷺ ودفاع عنه وعن الإسلام، فكان مقابل ذلك التخفيف

(١) تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٢٢١،الطبعة الأولى جمادي الأخر ١٤٢٥هـ

(٢) البخاري ٥/ ٦٥ ح (٣٨٨٣) ومسلم ١/ ١٣٤ ح (٥٣١).

(٣) البخاري ٥/ ٦٦ ح (٣٨٨٥) ومسلم ١/ ١٣٥ ح (٥٣٥).

عنه من عذاب النار بأن يكون في ضحضاح يغلي فيها دماغه.

وكذلك ما قاله الرسول ﷺ في المطعم بن عدي الذي أجاره وحماه من كفار قريش بأن يهب له أسارى بدر، فقال ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له»[1].

فالنفس مجبولة على رد الجميل لمن أحسن إليها وهو من المروءة ومقابلة الإحسان بالإحسان ولما توفي المطعم بن عدي قال حسان بن ثابت: «والله لأرثينه»، وفيما قال:

فلو كان مجد مخلد اليوم واحداً ... من الناس نحى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبادك ما لبى محل وأحرما
فلو سألت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره ... وذمته يوماً إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المغيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعزوا وأكرما
إباء إذا يأبى وألين شيمة ... وأنوم عن جار إذا الليل أظلما[2]

وينبغي أن يكون التعامل مع الكافر في هذه الحالات تعاملاً ظاهراً بالعدل والإنصاف دون الميل القلبي و المودة لهم، وهذا التعامل من باب الإحسان لمن يحسن إليك ورداً للمعروف وقد دل على ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما لما قدمت عليها أمها إلى المدينة وكانت مشركة فسألت النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٥/ ١١٠ج (٤٠٢٤) وأبو داوود في السنن٣/ ١٣ج(٢٦٩١) والحديث عن محمد بن جبير عن أبيه.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٥٤ دار المعرفة، بيروت.

عن أمها قالت: «أأصل أمي؟ قال: نعم صِلي أمك»[١].

والصلة المراد بها في الحديث أنها تكرمها إكرام الولد لوالده إذا قدم عليه، وهذا الإكرام لا يخلو من مودة، ثم إن الرسول ﷺ أمرها أن تقبل هدياها وتدخلها منزلها فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة ٨].

فدلت الآية على أن بر ضَعَفة الكفار لابأس به؛ لأن الله نهى عن الإحسان إلى المحاربين وأذن بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار إذا لم يكن مع ولايتهم ومودتهم حب قلبي، بل يجب أن يكون مع ذلك بغض لكفرهم، ويدل على ذلك فعل الصحابة الذين تكلموا في مالك بن الدخيش[٢] قال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: لا تقل ذلك ألا تراه قد قال: «لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، قالوا بلى: ولكنا نرى نصيحته للمنافقين، فقال: فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٣]، وقوله تعالى ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة ٩] في صفِّ المحاربين يدل على أن نوع غير المحاربين له نوع موالاة جائزة بالإحسان والمودة الجزئية، وهذا واضح بالمقابلة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ٢١٥ ح (٢٦٢٠). ومسلم ٣/ ٨١ح (٢٣٧٢).

(٢) هو: مالك بن الدخشم بن مرضخه ويقال ابن الدخيش، وقد استأذن رجل من الأنصار الرسولﷺ في فتل ابن الدخيش،لأنه من المنافقين، وقد برأ الرسول ﷺابن الدخيش من النفاق.انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥٠.تحقيق طه عبد الرءوف، دار الجيل بيروت، والروض الأنف في شرح غريب السير،تأليف عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد السهيلي.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٢، والحاكم ٢/ ٢٨٥ ح (٣٨٠٤).

والمقصود من ذلك أن يعلم أن الولاء والبراء للكافرين يعني للعبد ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: موالاة ومحبة الكافر لكفره فهذا كفر مخرج من الملة .

الدرجة الثانية: محبته ومودته وإكرامه للدنيا مطلقاً، وهذا لا يجوز ومحرم لأنه نوع موالاة ومودة ولكنه لا يخرج من الإيمان، وإن كان صاحبه على خطر عظيم وإثم كبير.

الدرجة الثالثة: وهو أن يكون في مقابلة نعمة أو في مقابله قرابة، ففي هذا رخصة وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان ومن المروءة وحسن الخلق[1].

ومن المحبة الطبيعية محبة الوطن والمسكن وهي محبة فطرية غريزية مرتبطة بالمشاعر والعواطف نحو الوطن والمسكن، وهذه المحبة لا تتعارض مع المحبة الدينية العبادية، فقد ذكر الله ﷻ محبة الآباء والأبناء و الإخوان والعشيرة والأموال والمساكن في القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة ٢٤].

أما إذا كان حب الأوطان والمساكن هو الأصل وعلى أساسه يكون الحب والولاء والانتماء والبغض والمعاداة فهذا الذي حذر منه القرآن الكريم، قال الشيخ السعدي عند تفسير هذه الآية: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية تلعيق الشيخ صالح آل الشيخ ١/ ٥٠١.

وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله»[١].

بل ورد في السنة الصحيحة الإشارة إلى حب الوطن والحنين إليه وأن ذلك لا يؤثر على المحبة الدينية كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: كان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

كان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[٢].وكما في حديث عبد الله بن حمراء قال قال رسول الله ﷺ عن مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[٣].

وكذلك في حديث عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال قال رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير السعدي ص٣٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة ح (١٨٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب باب فضل مكة ح (٤٠١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

عن مكة المكرمة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي لولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»[(١)].

وحديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها[(٢)].

ففي هذه الأحاديث بيان لحب الأوطان والحنين إليها وهو أمر فطري وشعور داخلي في كيان الإنسان، قال ابن حجر معلقاً على حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وفي هذا الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه»[(٣)]. وحديث أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أُحد جبل يحبنا ونحبه»[(٤)].

فقد دلت النصوص على حب الوطن والمسكن لأنه مقر الإقامة والسكن والعمل، وهو مكان العبادة وإقامة حكم الله تعالى على ثراه، وهو بهذه المكانة والمنزلة لا يتنافى مع المحبة العبودية بل هو مرتبط بها،لأن من ضروريات قيام الدين أنه لا يقوم إلا على أرض ووطن، وهذا هو الإطار الصحيح للعلاقة بين محبة الوطن محبة طبيعية فطرية وبين محبة العبودية.

---

(١) أخرجه الترمذي في باب فضل مكة ج(٤٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة ح (١٨٨٦).

(٣) فتح الباري ابن حجر: ٣/ ٧٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ح (٤٤٢٢). ومسلم ح (٣٤٣٧).

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد هذه الرحلة الماتعة مع هذا الموضوع الحيوي: «**المحبة بين العبودية والفطرية**» أقف على بعض النتائج أهمها:

۞ أن محبة الله تعالى هي: الخضوع والتذلل له والخوف والخشية منه والتعظيم والإجلال له والتوكل عليه، وهي حقيقة العبودية لله تعالى وليس شيء يُحَب لذاته من كل وجه إلا الله عز وجل.

۞ أن محبة الرسول ﷺ هي شرط للإيمان وفرض على كل مسلم،وهي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، وهي محبة لذاته وشخصه الكريم، ويلزم من محبة ذاته طاعته والانقياد له والرضا والتسليم بحكمه وأمره وإيثاره على من سواه.

۞ أن من محبة الله تعالى محبة ما يحبه الله عز وجل من الطاعات والأعمال الصالحات والحب لله تعالى، وهذا من كمال المحبة وكمال الذل ونهايته.

۞ أن المحبة الفطرية الطبيعية هي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه من المأكل والمشرب ومحبة القرابة، ولها ثلاثة أحكام: فإن كانت المحبة الفطرية، توصل بها إلى محبة الله تعالى أثيب عليها، وإن أحبها موافقة لطبعه ولم يؤثرها على محبة الله كانت من قسم المباحات، وإن قدّمها على ما يحبه الله ويرضاه كان ظالماً لنفسه.

۞ أن موالاة الكفار ومحبتهم لأجل دينهم كفر مخرج من الملة، أما

محبتهم ومودتهم للدنيا مطلقاً فهذا نوع موالاة لهم، وهو محرم وإثم عظيم. أما إذا كان حبهم ومودتهم لأجل قرابة أو زواج أو في مقابلة نعمة لغير المحارب ففي هذا رخصة، وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان وهي من حسن الخلق والمروءة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بالمراجع والمصادر

۞ ابن أبي العز: علي بن علي الحنفي (١٤١٣هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

۞ ابن أبي شيبة: عبدالله بن محمد مصنف بن أبي شيبة تحقيق محمد عوامه، طبعة دار القبلة.

۞ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر ١٤١٨هـ.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، الرسالة التبريكيه زاد المهاجر إلى ربه، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جده.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، تهذيب مدارج السالكين هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزى، طبعة وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.

۞ ابن القيم الجوزيه: محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

۞ ابن جزى: محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنـزيل.

۞ ابن حجر: أحمد بن علي فتح الله شرح صحيح البخاري، تحقيق وضبط: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

۞ ابن حجر أحمد بن علي فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

۞ ابن حنبل أحمد مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنـز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت.

۞ ابن جبرين: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية مطبعة السفير الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

۞ ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت.

۞ ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء، تحقيق سامي محمد سلامه، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

۞ ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدا لله القزويني تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، سنن ابن ماجة والأحاديث المذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.

۞ أبن هشام: عبد الملك هشام الحميري، السيرة النبوية،تحقيق طه عبد الرءوف دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ

۞ أبو السعود: محمد بن محمد مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

۞ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. سنن أبي داود ومع الكتاب تعليقات كمال الحدث والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.

۞ الألباني: محمد ناصر الدين سلسلت الأحاديث الصحيحة،المكتب الإسلامي، دمشق.

۞ الألباني: محمد بن ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته،

المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة.

۞ الألباني محمد ناصر الدين،صحيح الترغيب والترهيب مكتبة المعارف الرياض الطبعة الخامسة

۞ البخاري: محمد بن علي إسماعيل أبو عبدا لله الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى.

۞ البيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر المحقق الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي، الطبعة الأولى.

۞ البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، تحقيق: محمد عبدا لقادر عطا سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

۞ الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۞ الحاكم: محمد بن عبدا لله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدا لقادر عطا، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

۞ الزحيلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

۞ الزحيلي: وهبه بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ السعدي: عبدا لرحمن بن ناصر، تحقيق عبدا لرحمن معلا، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

۞ السهيل: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الروض الأنف في شرح

غريب السير.

۞ الطبري: محمد بن جرير، تحقيق أحمد محمد شاكر، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

۞ عبدا لرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتخريج الأحاديث والتعليق: حبيب ألأعظمي، المصنف، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

۞ القرطبي: أبو عبدا الله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطقيس، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

۞ المروزي: محمد بن الحاج أبو عبدا الله، تحقيق: عبدا لرحمن بن عبدا لجبار الفريوائي. تعظم قدر الصلاة، مكتبة المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

۞ مسلم بن الحجاج أبو الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وضبط محمد فؤاد عبدا لباقي، صحيح مسلم، دار المغني، السعودية.

۞ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديد، بيروت.

۞ المكتبة الشاملة.

۞ موسى: علي حسين العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالوطنية وحقوق المواطنة، منشور في المجلة الأمنية، العدد (٣١) عام ١٤٢٦هـ.

۞ النسائي: أحمد بن شعيب بن علي أبو عبدا لرحمن، تحقيق حسن عبد المنعم حسن شلبي، مطبعة مؤسسة الرسالة.

۞ النووي: يحيى بن شرف صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة